
أسماء الله الحسنى
18
المتين
الولي
الحميد
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى



بعْدَ أن هاجرَ الرسولُ ﷺ إلى المدينة ، كانَ علماءُ اليهودِ يجادلونهُ جدالاً عقيماً ، ويخوضونَ فى الحديثِ عنِ اللّهِ وأسمائه الحُسنَى وصفاته بجهْلٍ وجُرْأةٍ وكذبٍ وادِّعاء .

فقدْ جاءُوهُ ذاتَ مرّةٍ وسألوهُ عنْ خلْقِ السمواتِ والأرْضِ فقالوا :

ـ أخْبِرْنا عنْ خلْقِ السمواتِ والأرْضِ ؟

فقالَ النبى ﷺ :

ـ خلَقَ اللّهُ الأرْضَ يومَ الأحدِ والإثْنيْنِ ، وخلقَ الْجبالَ يوْمَ الثُّلاثاءِ وما فيهنَّ منَ المنافعِ ، وخلقَ يومَ الأرْبعاءِ الشَّجرَ والْماءَ ، وخلقَ يومَ الْخميسِ السَّماءَ ، وخلقَ يوْمَ

الْجُمُعَة النجوم والشَّمس والْقمر .
وعنْدئذ قال اليهودُ فى جدال واضح :
ـ ثُمَّ ماذا يا مُحمَّدُ ؟
فقال النبى ﷺ :
ـ ثم اسْتوى على الْعرش .
فقال اليهودُ :
ـ قد أصبْتَ لو قلتَ : ثم استراح .
ولم يكد الرسولُ ﷺ يسْمعُ منهم ذلك حتى غضب غضبًا شديدًا ؛ لأنَّ ما زعمهُ الْيهودُ فى حقِّ اللَّه شركٌ وكُفْرٌ باللَّه ، (فتعالى) اللَّهُ عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا ، وعنْدئذ أنْزل اللَّهُ (تعالى) قولَه :
﴿ ولَقدْ خلقْنا السَّموات والأرْض ومَا بيْنهُمْا فى ستَّة أيَّام ومَا مسَّنا منْ لُغوب ﴾ . (ق : ٣٨)
واللُّغُوبُ : هو التَّعبُ والْعناء .
فسُبْحانَ الْمتين شديد الْقوى الذى تدومُ قوَّتُهُ ولا تلْحقهُ فى أفْعاله مشقَّةٌ ولا يمسُّهُ تعبٌ مهْما كان حجمُ ما يقومُ به منْ أعمال .

فإذا كانَ اسْمُهُ (تعالَى) القوىّ يدلُّ على القُدْرة التامَّة، فإنَّ اسْمَه (تعالَى) المَتين يدلُّ على شدَّة القُوَّة بحَيْثُ لا يمكنُ أن يستولى عليْه عجزٌ أو يُوهنُهُ ضعْفٌ.

والعَربُ يقولون: حَبْلٌ متينٌ: أىْ مُبْرَمٌ مُحكمُ الفَتْل بحيثُ يصيرُ قويًا شديد القوة.

يقولُ (تعالَى):

﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدُون * ما أريدُ منهُم من رِزْقٍ وما أُرِيدُ أنْ يُطعمُون * إنَّ اللَّه هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّة المَتين ﴾. (الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨)

وفى هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ قوةَ اللَّه لا تدانيها قوةٌ، فلا يستطيعُ أحدٌ أنْ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لكلِّ الخلائق ـ على كثْرتهم ـ إلا اللَّهُ القوىُّ المتينُ، الذى لا تنفَدُ خزائنُهُ، وفى ذلك إشارةٌ إلى ضعْف المخلوق وحاجته إلى خالقه (عزَّ وجلَّ).

ومما يدلُّ على شدَّة قوَّته، أنه (سُبحانَهُ وتعالَى) يَبْسُطُ سُلْطانَه وهَيْمنَتَهُ على الْوُجود كلِّه برَغْم اتِّساعه. قال (تعالَى):

﴿ وَسع كُرسيُّهُ السَّمواتِ والأرضَ ولا يؤودُهُ حفظُهما

وهو العلىُّ العظيمُ ﴾ . (البقرة : ٢٥٥)

وقد استخلف اللهُ الإنسان - على الرغم من ضعفه - في الأرض ، وذكّره بضعفه وعجزه حتى لا يغترّ بقوته ، فقد خلق اللهُ ما هو أعظمُ وأقوى من الإنسان : خلق السَّموات السَّبع ، والأرضين السَّبع ، والجبال الرَّواسى ، والمحيطات الشَّاسعة ، وخلق المجرات والكواكب والنُّجوم ، وخلق ما لا تراه العينُ ولا يعرفهُ البشرُ ..

فأين قوةُ الإنسان من هذه المخلوقات العظيمة ؟

قال (تعالى) :

﴿ أأنتم أشدُّ خلقًا أم السَّماءُ بناها * رفع سمكها فسوَّاها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ . (النازعات : ٢٧ - ٣٣)

فسبحان من بسط الأرض ورفع السَّماء بغير عمد ، وخلق الجبال الراسيات ، ورزق كلَّ خلقه بشتى أنواع الرزق ، سُبحانه لا شبيه له ولا نظير له فى أسمائه ولا فى صفاته ، وسُبحان من سخَّر هذه المخلوقات القوية لخدمة هذا

الْكائن الضَّعيف .

والْمُؤْمنُ يسْتمدُّ قوتهُ ورفْعة شأْنه من اللَّه (تعالى) ، فهو قويٌّ باللَّه ، لا يرهبُ ذا سُلْطان ولا يخافُ صاحب نُفُوذ أوجاه ، فصاحبُ السُّلْطان وصاحبُ الْجاه بحقٍّ هو اللَّه وحْدهُ الْقويُّ الْمتينُ .

﴿ومنْ يتوكَّلْ على اللَّه فهُو حسْبُهُ﴾ . (الطلاق : ٣)

اللهمَّ لا سهْل إلا ما جعلْته سهْلاً ، وأنت تجعلُ الْحزن إن شئْت سهْلاً ، بسْم اللَّه على نفسي ومالي وديني ، اللهمَّ رضِّني بقضائك ، وبارك لي فيما قُدِّر لي ، حتى لا أُحبَّ تعجيل ما أخَّرْت ، ولا تأْخير ما عجَّلْت .



عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قالَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ :

«إن اللهَ (عزَّ وجلَّ) قال : من عادى لي وليًّا فقدْ آذنتُه بالحرب ، وما تقرَّبَ إليَّ عبْدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افْترضْتُ عليه ، وما يزالُ عبْدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أُحبَّهُ ، فإذا أَحببْتُه كنْتُ سمْعَهُ الذي يسْمعُ به ، وبصرَهُ الذي يُبْصرُ به ، ويدَهُ التي يَبْطشُ بها ، ورجْلَهُ التي يمْشي بها ، وإنْ سألني لأُعْطينَّهُ ، ولئن استعاذني لأُعيذنَّهُ» . (رواه البخاري)

ومن هذا الحديث القُدسي يتضحُ لنا أنَّ الوَليَّ هو اللهُ (تعالَى) ، فهو الذي يتكفَّلُ بأمورِ العبادِ كلِّها ، فهو (سُبحانهُ وتعالَى) المحبُّ لعبادِه ، الناصرُ لأوْليائه ، والقاهرُ

لأعدائهم . أما الولىُّ من البشر : فهو الذى يتولى اللَّه ورسولَهُ ، ويسيرُ على نهج الرسول ﷺ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

(البقرة : ٢٥٧)

ألا ما أروع هذا التَّشبيه ! وما أروعَ هذه المعانى ! فحقًّا إن المؤمن بربه ، المتوكِّل عليه يعيشُ فى أنوار الهداية ، بينما الكافرُ الذى خرجَ من الأنوار القدسيَّة يترنَّحُ فى ظُلُماتِ بعْضُها فوقَ بعْضٍ ، ويعيشُ فى صراعٍ ومُعاناةٍ وضيقٍ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ . (طه : ١٢٤-١٢٦)

إن ولايةَ اللَّه للمسلم تَعْنى حمايتَهُ وتدْبيرَ شُئُونه ونصْرَه على أَهْواء نَفْسه وعلى أَعْدائه ، وليس من الصَّعْب على أَىِّ مسلم أنْ يُصْبحَ وليًّا منْ أَوْلياء اللَّه ، إذا داوم على الْعبادة ، وأطاعَ اللَّهَ ورسولَهُ ، وتقرب إلى اللَّه بالصَّالح من الأَعْمال .

قال (تعالى) :

﴿ أَلا إنَّ أَوْلياءَ اللَّه لا خَوْفٌ عليْهمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون * الذين آمنوا وكانوا يتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرى فى الْحياة الدُّنْيا وفى الآخرَة لا تبْديلَ لكلمات اللَّه ذَلكَ هُوَ الْفوزُ الْعظيمُ ﴾ .

(يونس : ٦٢ - ٦٤)

وقدْ روى سعيدُ بْنُ جُبيْرٍ أن رسولَ اللَّه ﷺ سُئل :

ـ منْ أَوْلياءُ اللَّه يارسولَ اللَّه ؟

فقال :

ـ «الذين يُذْكَرُ اللَّهُ برُؤْيتهم» .

وقال عُمرُ بنُ الْخطاب فى هذه الآية :

ـ سمعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول : «إنَّ منْ عباد اللَّه عباداً ما هم بأَنْبياءَ ولا شُهداء ، تَغْبطُهُمُ الأَنْبياءُ والشُّهداءُ يوم

القيامة لمكانهم من الله . قيل : يا رسول الله ،
خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم . قال : هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها ، فوالله ، إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ـ ثم قرأ ـ ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

فالمؤمن الذى يتقى الله ، ويحب الخير لإخوانه كما يحبه لنفسه ، ويبذل ما فى وسعه لإرضاء الله (تعالى) هو من عباد الله وأوليائه ، فليس الأولياء الصالحون ـ كما يظن بعض الناس ـ هم الأموات أو الصالح منهم ، لكن الأولياء حقًا هم من تتحقق فيهم الشروط الإيمانية الصادقة كما أشارت الآية الكريمة .

والله (تعالى) يؤيد أولياءه بنصره ، ويؤيدهم بالملائكة والحفظة يحفظونهم من كل شىء ، فلا يصل إليهم سوء ، بشرط أن يستقيم هؤلاء الأولياء على المنهج الصحيح .

قال (تعالى) :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم

الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ . (فصلت : ٣٠ ـ ٣٢)

اللهُمَّ فاطرَ السمواتِ والأَرضِ عالمَ الْغيبِ والشَّهادةِ ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ ، أشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا أنْتَ ، أعوذُ بكَ منْ شرِّ نفْسي ، ومنْ شرِّ الشيطانِ وشِرْكِه ، اللهم يا وليَّ الْمؤمنينَ ، تولَّنا وارضَ عنَّا ، واجْعلْنا منْ أوْليائكَ وخاصَّتكَ .



بينما كان رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي ومعه أصحابُه ، رفعَ رأْسَه من الرُّكوع وقال :

ـ سمعَ اللهُ لمَنْ حَمِدَه .

فقالَ رجلٌ من ورائه :

ـ ربَّنا ولكَ الحمْدُ حمْدًا كثيرًا مُباركًا فيه .

فلمَّا انتهى قالَ :

ـ «منِ المتكلِّم» ؟

فقالَ الرجلُ :

ـ أنا يا رسولَ اللهِ .

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ :

- «رأيْتُ بضْعَةً وثلاثين مَلَكاً يبْتَدِرونها أيُّهم يكْتُبها أوَّلاً» .

فسُبْحانَ الحميد الذى يسْتَحِقُّ الحَمْدَ والثَّناءَ لما أنْعَم به على عبادِه منْ خيْراتٍ حِسانٍ ، وتَفضَّل عليهِم بالْعَفْوِ والْغُفْرانِ . فهو سُبْحانَهُ الذى يُحْمَدُ فى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ وفى الشِّدَّةِ وفى الرَّخاءِ ، ويُحْمَدُ فى جميعِ الأحْوالِ والْحالاتِ .

وحَمْدُ اللَّهِ لا يكونُ باللِّسانِ فقطْ ، بلْ يجبُ أنْ ينْبُعَ من الْقلبِ وأنْ يتَحوَّلَ إلى أعْمالٍ ظاهِرةٍ ومَلْمُوسةٍ ، فلا معْنى لأنْ نَحْمَدَ اللَّهَ ونحنُ لا نُطيعُهُ ، ولا معْنى لأنْ نحْمَدَ اللَّهَ على الصِّحَّةِ والْغنَى ، ونحنُ نَظْلِمُ الآخرينَ ونبْخَلُ بأمْوالنا ولا نتصَدَّقُ على الْفُقراءِ منها .

إنَّ حَمْدَ اللَّهِ وشُكْرَهُ على نِعَمِه يكونُ بالتصدُّقِ منها ، كما ينْبَغى الالْتزامُ بمَنْهجِ اللَّهِ والرضا بقضائه وقَدَرِه فى كلِّ الأحْوالِ .

والذى يتدبَّرُ الْقرآنَ الْكريمَ يجدُ أنَّ هُناكَ خمسَ سُوَرٍ بدأَتْ بالْحَمْدِ للَّه ، وهى سورةُ الْفاتحةِ وسورةُ الأنعامِ وسورةُ الْكهْفِ وسُورةُ فاطِرٍ وسُورةُ سَبأ .

وافْتِتاحُ هذه السُّوَرِ بالْحَمْدِ للهِ دليلٌ على عِظَمِ مَنْزِلَةِ الْحَمْدِ ، فأَجْرُ الحمدِ وجزاؤه عند اللهِ كبيرٌ . فعَنْ عُمَرَ ابنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حدَّثهم : «أَنَّ عَبْداً مِنْ عبادِ اللهِ قال : يارَبِّ لكَ الْحَمْدُ كما يَنْبغى لجلالِ وَجْهِكَ وعَظيمِ سُلْطانِكَ ، فعَضَلَت بالْمَلَكَيْنِ - أى اشْتَدَّ الأَمْرُ واسْتَغْلَقَ - فلمْ يَدْرِيَا كيفَ يكْتُبانِها ، فصعدا إلى السَّماء ، وقالا : يا ربَّنا إنَّ عبْدكَ قد قالَ مقالةً لا ندْرى كيْفَ نكْتُبُها . قال اللهُ (عزَّ وجلَّ) وهو أعلمُ بما قالَ عبْدُهُ : ماذا قالَ عبْدى ؟ قالاَ : يا ربِّ ، إنه قدْ قالَ : يارَبِّ لكَ الْحمدُ كما ينْبَغى لجلالِ وجْهِكَ وعَظيمِ سُلْطانِكَ . فقالَ اللهُ لهما : اكْتُباها كما قالَ عَبْدى حتى يلْقانى فأَجْزيَهُ بها» . (رواه ابن ماجة)

ولذلكَ فقدْ كانَ صحابةُ الرَّسولِ ﷺ يدركونَ فضْلَ الْحمدِ ومنزلةَ صاحِبِه عندَ اللهِ فكانوا يقولونَ :

- ما مِنْ نعْمةٍ إلا والْحَمدُ للهِ أفْضلُ منها .

وقدْ يكونُ الْحمدُ بمَعْنى الشُّكْرِ . غيْرَ أَنَّ بعضَ الْعُلماءِ فصَّلَ الْقَوْلَ فى ذلكَ ، وقالَ :

إنَّ الشكْرَ أعمُّ من الْحمدِ ، لأنه باللِّسانِ والْجَوارحِ والْقَلْبِ ،

أَمَّا الْحمدُ فيكونُ باللِّسانِ خاصَّةً .

وقيلَ : الْحمدُ أعمُّ لأنَّ فيه معنى الشُّكْرِ ومعْنى الْمَدْحِ ، وهو أعمُّ منَ الشكرِ ، لأنَّ الْحمدَ يوضعُ موْضعَ الشكْرِ ، أمَّا الشُّكْرُ فلا يوضعُ موْضعَ الْحمدِ .

ورُوِى عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنه قالَ :

ـ الْحمدُ للَّه كلمةُ كلِّ شاكرٍ .

وكانَ الرسولُ ﷺ يأْمُرُ صحابتَهُ بحمدِ اللَّهِ وشُكْرِه ليْلاً ونهارًا على ما تفضَّلَ به (سُبْحانَهُ وتعالى) عليهمْ منْ نعمٍ . وكانَ يعلِّمهُمْ أدْعيةً كثيرةً بليغةً يدعونَ بها في هذه الْمناسباتِ . فعنْ أبى هُرَيْرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

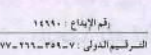
«ألا أُعلِّمكَ كلماتٍ تُذْهِبُ عنْكَ الضُّرَّ والسُّقْمَ ؟ قُلْ : توكلتُ على الْحيِّ الذى لا يموتُ ، والْحمدُ للَّه الذى لم يتَّخذْ ولدًا ولمْ يكنْ له شريكٌ فى الْمُلكِ ولمْ يكنْ له ولِىٌّ منَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكْبيرًا» .

وقالَ ﷺ :

«الطُّهورُ شطْرُ الإيمانِ ، والْحمدُ للَّه تملأُ الْميزانَ ، وسُبحانَ

اللّه والْحمدُ للّه تملآن ـ أو تملأُ ـ ما بين السَّماء والأرْض ، والصَّلاةُ نورٌ والصَّدقةُ بُرْهانٌ ، والصَّبرُ ضِياءٌ ، والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليْكَ ، كلُّ الناسِ يغْدو ، فبائعٌ نفسَهُ فَمُعْتقُها أوْ مُوبِقُها» . (رواه مسلم)

اللّهمَّ لكَ الْحمدُ كما ينْبغي لجلالِ وجْهكَ وعظيمِ سُلْطانكَ ، نَحْمَدُكَ حَمْدَ الشَّاكرينَ العارفينَ بقَدْرِكَ ، ونُثْني عليكَ الثَّناءَ الْجميلَ ونصلِّي ونسلِّمُ على خاتَمِ أنبيائكَ يا حَميدُ يا مَجيدُ !


رقم الإيداع : ١٤٩٩٠
الترقيم الدولى : ٧-٣٥٩-٢٦٦-٩٧٧